الشعلة والطربوش

بقلم\ هبة اللكاوي

أجلسُ في منتصفِ الفصل، وقد ازدحمَ بأقرانِي ويتدلّى النّور من روحي، فأجعلُ من عتمتِه سكنًا، ليكون اسمي شعلةً على مسمّى ويسكن بجوارِي صديقي الكلاسيكي، طربوش ذو الرّداء الأحمر وربطةُ العنق السّوداء، وهناك ألواح تضيئ المكان برسالتها الزّاهية...صنعها رفقائنا من الماضي بالفصلِ يكثر الهرجُ والمرج، وأصواتٌ تكادُ تذهب بالسّمع والبصرِ معا وأنا وصديقي طربوش...لا يكادُ الواحدُ منّا يضيء لمعانُه حتى ينطفِئ الآخر تارةً، نأنسُ سويًّا بالسّكوت وتارةً أخرَى نلتحِم... فندفِّئ المكان بأحاديثِنا العطرةِ دومًا نحملُ روحَ التّرقّبِ بِداخِلنا...يدور في عقولِنا سؤالٌ...من سيشرَحُ لنا اليوم ؟ ثم تتناوبُ علينا الحِصص ...ونرهَف لشرحِ المعلّمين سويًّا

والمعلّم لدينا يجلس على كرسيّ تطير أقدامُه في السّماء...ويرتفِع صوتُه عمّن سواه، فيسود الصّمت وجاءت آخر حصّة لهذا اليَوم، وكان الضّجيج في ذروَتِه، وكان الصّراع بيني وبين صديقِي طربوش يحمِل أوجهًا لا تُعدُّ ولا تحصَى، كيف لا وقد انبثقت أفكارنا من بوتقة أرواح مختلفة؟ فأنَا أتغنّى بالإبداع، وأعزِفُ للحريّة، وأسقي أزهارَ التّغيير، وصديقِي طربوش الطّيب، يشدو بألحانِ السّكون، ويرسِل أشعارهُ مع حمامات السّلام، وعلى غفلةٍ من أرواحِنا اليقظة، سألَنَا المعلّم سؤالًا، عن درسٍ شرحه ضِمن سِباقٍ محموم بيني وبين صديقي، غيّبَ عقولِنا في حيرة، فأجبت كعادتِي الوقِحة في أعينهم: لا أستسيغ الشّرح يا معلمي...لم يصِلْ لشنايا روحِي... ونظرَ إلى صديقِي طربوش، فإذا بأعينِه تفيضُ إعجابًا بالشّرح، وكان الحديث السّاكن فيهِما يغني عن ألفِ كلام...

تساءلت في صمت...هل يتقنُ صديقي التّمثيل حدَّ الارتواء؟مرت عليّ لحظات... ألمسُ كينونةَ السّنوات فيها، توجّست خِيفة من صمتِ المعلّم قد ظننتُ أنّ تلكَ هيَ سَدرة منتها، لكن هيهات...لا أعرف..... هل أسهبتُ في حديثٍ لا يسمنِ ولا يغنِي من جُوع؟ولماذا لم أشبع ظمأ فمي المفتوح؟تصبّبت عرقًا، ثم انتفضت حين شعرْتُ بأنفاسِ المعلّم تلفحني، غرسَ أصابِعه في لحمي، ثمّ قادنِي على بعدِ آلاف الأميال من نسائمِ المكان، وعن صديقِي ومن يومِها لم أعد أسمعُ الشّرح ولا أعرف ...هل سأنعم ولو حتّى باستراقِ السّمع إلى أصدائِه، لكنّ

دعائِي أصبحَ منذُ ذلك اليوم:

«للّهم ارزق ذلكَ الفصْل الذي قضيتُ فيه أحلى أيّامِ ذكرياتِي وطفولتِي معلّما يجيد الشّرح، ويحسِن السّمع ويرفَع رايَةَ العدل، ويدفعُ بفصلِي الحبيب إلى الأمام، واللهم احفظ لِي أخِي طربُوش، واجعل صوتَه قويّا في الحقِّ، ونوِّر له عقله ليرى ما رأيت»

تُرى هل يغدو الدّعاء حقيقةً يومًا؟ أمْ أنّها أحلامٌ لن ترقَ لواقع؟ حسنا... إنّ الله كبير

تمت